النوم والسرير

قُضي على الانسان ان يصرف معظم حياتهِ في غير المهمّ من معنى الحياة لان اكثر اوقاته ينقضي في تدبير كيانه واقامة بنيتهِ ما بين طعامٍ ومنام وراحةٍ ورياضة فلا يبقى منها لاعمالهِ الاجتماعية واهتماماتهِ العقلية الا شطرٌ يسير. على ان ذلك كلهُ مما لا يستقيم الوجود بدونهِ ولا تتوفر الاعمال الا بهِ فهو مسوقٌ اليهِ بالضرورة لا يجد من نفسهِ بدًّا منهُ ولا غنًى عنهُ. واذا اعتبرت جملة حياتهِ ووزّعت اوقاتهُ على احوالهِ في جميع اطوار الحياة ما بين سن الطفولية والشيخوخة وحالتي الصحة والمرض وجدت ان ما يقضيهِ منها في سريرهِ لا يقلّ عما يقضيهِ في خارجهِ ولهذا كان امر المنام من اهمّ ما ينبغي الاعتناء بهِ لحصول الغاية المقصودة منهُ وهي صحة البدن التي لا يتمّ بدونها عيش ولا يستتبّ عمل

على ان من الناس من يعدّ النوم ضرباً من الموت ويرى ان الساعات التي يقضيها في غفلة الرقاد كانها ليست من حياتهِ حتى لقد تجد ممن سالمتهم الدنيا وخدمهم النعيم من يغالب النوم ما استطاع ضنًّا بلذة اليقظة وتذرعاً الى اطالة الحياة . وهو ولا جرم ضربٌ من الخُرق والمبالغة في الحرص حتى ينقلب الى التفريط لان لذة اليقظة واعتدال الحواس وقوة الجسم على اغتنام الملذات ومدافعة الامراض كل ذلك لا يتم بدون النوم بل النوم للجسم بمنزلة غذاء آخر اذ بهِ يُستوقف هلاك ما يهلك من جواهر الاعضاء بالعمل ويكون بهِ تمثيل الاغذية اتمّ والتعويض عما تحلل من دقائق البنية

اسرع واوفى بحيث ان اعمال الحياة في النائم تكون اقوى منها في المستيقظ لِما تقرّر عند اربابهِ من ان قوّة التمثيل تزداد في الجسم كلما ازداد قرباً من الحيوانات الدنيا التي تقرب اعمال الحياة الحيوانية فيها من اعمال الحياة النباتية

ومعلومٌ ان النوم انما يستوقف الاعمال العضوية التي لها شركةٌ مع الخارج واما القوى الحيوية والتمثيلية فتبقى على عملها لا تنقطع بهذا السبب لحظةً من الزمن . وهو فضلاً عن كونهِ راحةً طبيعيةً للانسان على حدّ ما هو لسائر الحيوان فان فيهِ معدّلاً لبنيتهِ وصاقلاً لذهنهِ يعيد افكارهُ الى تنبهها ويردّ على النفس جمامها ويجدد قواهُ لمزاولة ما يستقبلهُ من الاعمال والمهمات

ولا بأس ان نذكر هنا شيئاً في كيفية حدوث النوم في الجسم ودبيبهِ في الاعضآء فقد دلّت المراقبة ان الجسم لا ينام بأسرهِ دفعةً واحدة ولكن الحواس تفتر بالتدريج وتبطل افعالها شيئاً فشيئاً الى ان يتكامل النوم في الجسم كلهِ . واول ما يبطل منها الافعال العضلية المطاوعة لفعل الارادة فيشعر الجسم بخدرٍ عام بحيث اذا كان الانسان قائماً ضعفت ركبتاهُ عن حملهِ ومال رأسهُ وجنحت الاعضآء كلها الى التوقف عن اعمالها واستشعر انهُ عن قليل لا يكون لهُ حاملٌ يعتمد عليهِ من اعضآئهِ فيلقي بنفسهِ على السرير او على الارض او على حجرٍ او غيرهِ يسلّم اليهِ ثقلهُ مدة انقطاع العضل عن عملها

واول ما يعرض لهُ في هذه الحال ان يظلم بصرهُ وتنطبق اجفانهُ ويمتنع عليهِ ادراك الاشباح ثم يتخدر حس الذوق ثم حس الشم والسمع واخيراً يتخدر حس اللمس فيتمّ النوم في عامّة الجسم . اما الجهاز التنفسي والجهاز

الدموي والعضل القابض فانها لا تشارك الجسم فيما يعتريهِ من الخدر فيبقى الهضم والافراز على ما كانا عليهِ حال اليقظة . واما الدماغ فلانقطاع تأثير الحواس الظاهرة عليهِ يكون في حالةٍ متوسطة بين العمل والراحة كما يدل عليهِ ما يتمثل لهُ من الاحلام التي تشبه ما كان يمرّ بهِ في حال السهر . وعلى نحو ما ذُكر يكون الحال عند الانتباه فان خدر النوم يخفّ تدريجاً كما بدأ والحواس تستيقظ على التوالي وترتيب انتباهها يكون على عكس ما تقدم من ترتيب سنتها فاول ما يستيقظ الافعال العقلية وهي اقرب ما يمكن تنبيههُ في النائم وبعد ذلك تنتبه حاسة اللمس ثم السمع والشمّ ثم الذوق ثم البصر والافعال العضلية واخيراً تعود الارادة الى مجراها وتستأنف سلطانها على سائر الاعضآء وبذلك يتم الانتباه

اما مدّة النوم فتختلف باختلاف السنّ والجنس والبنية والمزاج والاقليم فان الطفل والمرأة يحتاجان من النوم الى اكثر مما يحتاج اليهِ الرجل واصحاب البنية القوية والمزاج الدموي ينامون اكثر مما ينام النحفآء واصحاب المزاج العصبيّ الشديد الانفعال وسكان البلاد الحارّة يحتاجون من النوم الى اكثر مما يحتاج اليهِ سكان البلاد الباردة وكذلك الحال في البلاد الواحدة بين فصلٍ وفصلٍ من السنة ولذلك غلب في الاقاليم الحارّة وفي فصل القيظ اعتياد القائلة وهي نوم نصف النهار

وللعادة ونوع الشغل تأثير في مقدار النوم فان الرجل العامل الحادّ التصور لا يكون الا قليل النوم وتعب الجسم ادعى الى النوم من تعب الفكر لما يلزم الحالة الثانية من تنبه الدماغ ولذلك ترى العلمآء والشعرآء وسائر اصحاب

الاعمال الفكرية من اقل الناس نوماً ومثلهم الذين يدمنون تعاطي المنبهات من المشروبات الروحية والمفرطون من شرب القهوة والدخان حتى ان من هؤلآء من قد ينام في فتراتٍ قصيرة وهو جالسٌ او متكئٌ . ولذلك ترى اكثر هذه الطبقة نحفآء الاجسام متنبهي الاعصاب وتكون اعمارهم على الغالب قصيرة وما اشتهر من ان العلمآء يكونون اطول اعماراً من غيرهم فالاظهر ان ذلك ناشئٌ عن تحفظهم في احوال المعيشة وجريهم على القوانين الصحية لا أن هناك سرًّا يخرجون بهِ عن مقتضى الاوضاع الطبيعية

وقد تقدم ان النوم من أعوَن الذرائع على تمثيل الاغذية وتوفير الجواهر العضوية لما فيهِ من تعليق الاعضآء عن العمل فينبغي ان تقدَّر مدّتهُ على قدر حاجةِ الجسم من تلك الجواهر . ومعلومٌ انهُ ليس لنا ميزان نزن بهِ مقدار الهالك من دقائق البنية ولكن يقال على الجملة ان النوم لا ينبغي ان يكون اقل من ست ساعات ولا اكثر من عشر وذلك تبعاً لما يكون عليهِ الجسم من الجهد او الضعف وتبعاً لما ذُكر من حالة السن والمزاج وغيرهما وكل احدٍ يستطيع ان يعلم بالاختبار مقدار حاجتهِ من النوم فينبغي ان يجري بحسب ذلك ولا يقسر طبعهُ على الزيادة من النوم او السهر . على ان الاقلال من النوم افضل من نقيضهِ فان من نام اقلّ من عادتهِ يجد في نفسهِ بعض الانزعاج ولكن ذلك لا تُخشَى منهُ عاقبةٌ سيئة وبخلافهِ ما اذا زاد نومهُ عن كسل وتثاقل فان الاعمال الهضمية تضطرب فيهِ ويجد من نفسهِ اختلالاً في صحتهِ وفتوراً في اعضآئهِ

اما اوقات النوم فافضلها الليل وهو الوقت الطبيعيّ لهُ لان الجسم

حينئذٍ يكون قد اعيا من حركة النهار وصار في حاجةٍ الى تعويض ما تحلل منهُ والاصوات في الليل تكون خافتةً والهوآء يكون ساكناً خالياً من التموجات التي تثور سحابة النهار بجلبة الناس والبهائم والآلات وغيرها ويكون ضوء الشمس غائباً فلا يرد على مقلتي النائم ما يؤثر في عصب العين ويمنع اكتمال راحتها . ولذلك فان الذين يعتادون اطالة السهر ويؤخرون نومهم كثيراً قلما ينتفعون بالمقدار الذي ينامونهُ ولا يغنيهم نوم الضحى عن نوم الليل ولو اطالوهُ لانهُ لا يعيد على الجسم النشاط الذي يعيدهُ نوم الليل للاسباب التي ذكرناها فترى اصحاب هذه العادة صفر الالوان منقوفي الوجوه وترى عيونهم محمرّةً مثقلةً بالنعاس وجفونهم متورمة وآماقهم دامعة وابدانهم ذابلة يشكون زكاماً مستمرًّا وحرافةً في الحلق وعسراً في الهضم مما لا سبب لهُ الا السهر ولا دوآء لهُ الا النوم

اما السرير فلا بد ان يكون مرفوعاً عن الارض لا اقلّ من متر لان رئتي النائم تفرزان الحامض الكربونيك وهو من المفرزات السامّة الا انهُ لثقلهِ يرسب سفلاً فيجب ان يكون النائم على ارتفاعٍ لا يبلغهُ الحامض المذكور بعد رسوبهِ . واما مقدار هذا الحامض فان الانسان البالغ يتنفس نحو ١٨ مرة في الدقيقة وقد حسبوا ان كل نَفَسٍ ينبعث عنهُ من الحامض الكربونيك ما يعدل ٥٠٠ سنتيمتر مكعب فاذا نام سبع ساعات مثلاً وهي ٤٢٠ دقيقة تنفس فيها نحو ٧٥٠٠ مرة وبضرب هذا العدد في ٥٠٠ يكون الحاصل ٣,٧٥٠,٠٠٠ سنتيمتر مكعب وهي عبارة عن ٣ امتار مكعبة و٧٥٠ دسيمتراً مكعباً اي ما يقرب من اربعة امتار مكعبة . وبهذا يُعلم ما في النوم

على الارض من التعرض للضرر ولا سيما اذا كانت الغرفة ضيقةً مسدودة المنافذ فان النائم يكون غارقاً في بحرٍ من هذا السائل القتال ينضح رئتيهِ بامواجهِ فلا يزداد بهِ الدم الا سماً وفساداً . وما يُرَى من عدم تأثيرهِ في بعض الناس فانما ذلك بسبب العادة على حدّ من يعتاد سائر السموم شرباً

ويُستحَبّ في الفراش ان يكون أميَل الى الصلابة منهُ الى الهشاشة وافضل ما يُتَّخذ منهُ الصوف النقي يُخلَط بشيء من الشعر وينبغي ان يُجتنَب استعمال الريش او الزَغَب لما فيهما من القبول لاختزان الحرارة كما ينبغي ان يُجتنب الاستكثار من الدُثُر المتراكمة الشديدة الضبط للحرارة لان كل افرازٍ حتى الليلي يكون سبباً للضعف . وكذلك المخادّ فان استعمال الشعر فيها افضل من الريش ولا سيما مخادّ الاطفال لما في الريش من الحرارة البالغة المؤذية للرأس

واما غرفة النوم فأول شروطها ولا سيما اذا كانت لاثنين ان تكون فسيحةً معرَّضةً للنور والهوآء لتطهرَّ من افرازات الجسم مع فتح نوافذها كل صباح ويحسن ان يُفتَح في اعلاها نوافذ صغيرة تصل بين هوآئها والهوآء الخارجي فيتبدل هوآؤها من غير ان يضرّ بالنائم . ولا ينبغي ان يُكثر فيها من التأنق بمضاعفة الانسجة التي تغطَّى بها الاسرَّة للزينة مما يمنع تخلل الهوآء فضلاً عن انهُ يكون ذريعةً لتكاثر البق بحيث يعسر استئصالهُ . ولا بأس بوضع الستائر على النوافذ لكن لا ينبغي ان تكون مضاعفةً ولا كثيرة الأثناء والمغابن لئلا تكون مجمعاً للغبار ومستقرًّا للجراثيم المنتشرة فيهِ . واما سائر اثاث الغرفة فكلما قلّت الامتعة فيها كانت ادنى الى الشروط الصحية

ولا سيما ما كان منها صعب النقل لان غرفة المنام ينبغي ان تكون سهلة التنظيف معرضةً لمرور الهوآء والنور في جميع اجزآئها طرداً لكل ما يحتمل وجودهُ فيها من جراثيم الفساد

ومما ينبغي التنبه لهُ ان لا يكون في غرفة المنام شيءٌ من الروائح القوية لما لها من التأثير المضرّ في الجهاز العصبي وان لا يوضع فيها شيءٌ من النبات والازهار التي توضع عادةً في البيوت للزينة فان النبات للنائم بئس الجار لان جميع انواع النبات تطلق الحامض الكربونيك في الليل ومنها ما يطلق اكسيد الكربون وهو اشدّ سميةً من الحامض الكربونيك فضلاً عما يفوح منها من الروائح العطرية ذات التأثير على العصب فيكون ضررها مضاعفاً

تدبير المنزل

وعدنا في بعض اجزآء السنة الماضية ان ننشر نموذجاً من كلام المتقدمين في هذا الفن نقلاً عن كتابٍ قديم وقع الينا منذ سنوات معرَّبٍ فيما نظن عن اليونانية الا انهُ قد سقط منهُ اسم المعرّب وذكر اسم المؤلف بما يقرب من شبه الصورة التي تراها في صدر النقل وقد رُسم عارياً عن الاعجام بحيث لم يتأتَّ لنا تحقيق لفظهِ

ومن عنوان الكتاب ترى ان الكلام فيهِ مقصورٌ على تدبير الرجل لمنزلهِ وهو ما لم يكد متقدمو المؤلفين يتعدونهُ فضلاً عن ان البحث فيهِ لا يتجاوز اصول الفن ومبادئهُ على ما هو شأن كل علمٍ في حدثان وضعهِ . ومع كون ما عندنا من الكتاب لا يزيد على خمس وعشرين صفحة متوسطة

على ما قدّمناهُ هناك فالذي نظنهُ ان الساقط منهُ ليس الا شيئاً يسيراً لانهُ يبدأ بامر المال وينتهي بذكر الولد وهو آخر ما أُشير في صدر التأليف . وقد رأينا ان نقتصر منهُ على نقل البحثين الاولين وهما بحث المال وبحث الخدم لان في الثالث ما لا يجمل نقلهُ والرابع لا ينتهي الى حدٍّ يوقف منهُ على فائدة وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ في الغرض منهُ وهذا نصّ ما اشرنا اليهِ

كتاب روسس في تدبير الرجل لمنزلهِ

قال ان أمر المنزل يتمّ بأربع خصال أوّلها المال والثاني الخدم والثالث المرأة والرابع الولد . اما المال فلأن الخالق تبارك وتعالى وان كان جعل في الانسان القوَى التي يحتاج اليها لقوام بدنهِ وصلاح أمرهِ فانهُ قد جعلهُ مع ذلك متنقضاً مستحيلاً متقضياً ولذلك صار الانسان محتاجاً الى ان يستمدّ ويستردّ مكان ما يتحلل منهُ . أعني بقولي القوى القوّة التي ينتزع بها كل واحد من اعضآئهِ ما يشاكلهُ من الغذآء بالمقدار الذي يحتاج اليهِ والقوّة التي تحيل ذلك الغذآء وتقلبهُ حتى يصير شبيهاً بالعضو الذي يغتذي منهُ فان كان المغتذَى بهِ لحماً صار لحماً وان كان عظماً صار عظماً وان كان عصباً صار عصباً والقوّة التي تحفظ على العضو ما اجتُذب اليهِ ما دام سيَّالاً حتى يجمد ويتصل بهِ والقوّة التي تنفي عن كل واحد من الاعضآء ما يبقى من ذلك الغذآء من الفضل مما يبعد من طبعهِ فلا يقوى على قلبهِ واحالتهِ الى طبيعتهِ والقوّة التي تنميهِ وتمدّدهُ حتى يزيد في طولهِ وعرضهِ وعمقهِ على مقادير اجزآئهِ فأقول

انهُ وان كان قد جعل في الانسان هذه القوى كلها وقوًى اخرى كثيرة معها بها يكون تدبير بدنهِ فانهُ قد جعل فيهِ شيئين هما قوامهُ وأحدهما يفني الآخر ويحللهُ وذلك ان قوامهُ بالحرارة والرطوبة ومن شأن الحرارة ان تحلل الرطوبة وتفنيها فلذلك لا يمكن ان يقف على حالٍ واحدة ولكنهُ يتحلل تحللاً دائماً متصلاً ولذلك يحتاج الى ان يستمدّ مكان ما يتحلل منهُ فاستمدادهُ هو الغذآء الذي يغتذيهِ . ولو كان البدن مع هذا من جنس واحد لكان الذي يحتاج اليهِ انما هو نوع واحد من الغذآء لكنهُ لما كانت اجزآؤهُ مختلفة احتاج لذلك الى أغذية مختلفة الانواع والطعوم وجميعها من النبات والحيوان لان غذآء كل شيء من اقرب الاشيآء اليهِ وليس شيء أقرب الى طبيعة بدن الانسان من الحيوان والنبات والنبات والحيوان محتاجان الى انواع من الصناعات حتى يكونا ثم حتى ينميا بعد كونهما . اما النبات فيحتاج الى ان يُزرَع او يعرَّش ثم يُسقى ويربَّى الى غير ذلك مما فيهِ تمام الانتفاع بهِ واما الحيوان فالى ان يغذَّى ويحرَّك ويكَنَّ وما أشبه ذلك مما فيهِ مصلحتهُ . ويُحتاج ايضاً لجمع الغذآء واعدادهِ وتهيئة ما يكون بهِ الانسان والحيوان الى صناعات أُخر كثيرة مختلفة . والانسان وان كان قد جُعلت فيهِ قوّة الاستنباط لكلّ صناعةٍ وقوّة التعلُّم لها فليس يمكن الواحد من الناس لقصر عمرهِ ان يستنبط ذلك ولا ان يتعلّمهُ لان لهُ في استنباط صناعة واحدة او تعلُّمها شغلاً عن استنباط سائر الصناعات او تعلّمها وان كان فيهِ احتمالٌ لتعلّم كثير منها فليس فيهِ احتمالٌ لتعلُّمها كلها . والانسان محتاج في تدبير معاشهِ الى جميع الصناعات والصناعات ايضاً مضمَّن

بعضها ببعض كالبنآء الذي يحتاج الى النجار والنجار الذي يحتاج الى صناعة الحدادين وصناعة الحدادين التي تحتاج الى صناعة اصحاب المعادن وتلك الصناعة الى البنآء. فكل واحدةٍ من الصناعات وان كانت تامةً في نفسها تحتاج الى الاخرى كما تحتاج اجزآء السلسلة بعضها الى بعض وان ارتفعت صناعةٌ واحدة بطل بارتفاعها الباقي من الصناعات . فلما كان كل واحد من الناس يحتاج في تدبير امرهِ الى انواع مختلفة مما يغتذي بهِ ويستتر وكان يحتاج لذلك الى جميع الصناعات كان لا يمكن ان يكون الواحد محكماً لجميع الصناعات فصار الناس جميعهم محتاجاً بعضهم الى بعض في تدبير معاشهم ولهذه العلة احتاج الناس الى اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً بالصناعات. ولما كان الناس محتاجاً بعضهم الى بعض ولم يكُ وقت حاجة كل واحدٍ منهم وقت حاجة صاحبهِ في اكثر الاوقات ولا مقادير ما يحتاجون اليهِ متساوية ولم يكن سهلاً في الامور ان يُعلَم ما قيمة كل شيء من كل شيء وما مقدار ثمنهِ من ثمنهِ وما مقدار اجرة كل شيء مما يُعمل من اجرة كل شيء آخر احتيج الى شيء يميز بهِ جميع الاشيآء وتُعرف بهِ قيمة بعضها من بعض فمتى احتاج الانسان الى شيء مما يباع او ما يُستعمَل دفع قيمة ذلك الشيء من هذا الجوهر الذي جعل ثمناً للاشيآء وأخذهُ ولو لم يُجعل هذا هكذا لكان الذي عندهُ نوعٌ من الانواع التي يحتاج اليها صاحبهُ كالزيت والقمح وما أشبه ذلك وعند صاحبهِ انواعٌ اخر لا يتفق اذا احتاج هذا الى ما عند ذاك ان يحتاج ذاك الى ما عند هذا فتقعَ المبايعة بينهما ولا يتفق ايضاً ان وقع الاتفاق بينهما في حاجة كل واحدٍ منهما الى

ما في يد صاحبهِ ان يقع الاتفاق بينهما في ان يكون يحتاج هذا مما في يد ذاك الى ما يكون قيمتهُ مقدار ما يحتاج اليهِ ذاك مما في يد هذا فيقع الاختلاف اذ ذاك بينهما فاما ان ينصرف كل واحدٍ منهما عن صاحبهِ اذا لم يجد عندهُ تمام حاجتهِ واما ان يتبايعا ثم يحتاج احدهما ان يطلب تمام حاجتهِ من بائعٍ آخر . وكان يُحتاج مع هذا الى ان يُعلم كم قيمة الجزء من كل واحد من الانواع التي فيها مصالح الناس مثل العسل والسمن والقمح وغير ذلك من الانواع الاخر على كثرة الانواع واختلافها في القيمة واذا عُرف ذلك في وقتٍ من الاوقات فقد يُحتاج ان يُعرَف في اوقاتٍ اخر كلما تغيرت حال نوعٍ من تلك الانواع بكثرة الجلب او قلّتهِ وبما يعرض من حاجة الناس اليهِ واستغنآئهم عنهُ ومن الاستكثار منهُ عند اختلاف الازمنة وما يستعمل الناس من كل نوع في كل زمان وكذلك الصناعات . فلذلك طبع الناس الذهب والفضة والنحاس وثمّنوا بذلك جميع الاشيآء واصطلحوا عليهِ لينال بهِ الانسان حاجتهُ في وقت حاجتهِ ويكون من يصير في يدهِ شيءٌ اراد ان يخلف بهِ ما خرج من يدهِ ويصرفهُ الى غير ذلك لم يتعذّر ذلك عليهِ . فقد صار من حصلت هذه الجواهر التي سمّينا في يدهِ مكان الانواع التي يحتاج اليها كانها قد حصلت في يدهِ ولذلك احتيج في مصلحة المعاش الى هذه الامور فنحن مبينون كيف يصلح التدبير في الاموال فنقول

(ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

(تابع لما في الجزء السابق)

تقدم لنا ان العقل والحرية في الانسان قوتان لا حظَّ للبهمية فيهما مما يدل صريحاً على مخالفة المبدأ العاقل في الانسان عن العجماوات وذكرنا ما يسع المقام من الادلة العقلية ولا مانع من ان نشفع ذلك هنا بالادلة الطبيعية الظاهرة التي نعتمد في صدقها على مراقبة الافعال الظاهرة في الاثنين وهي اختبارات سهلة لا تقتضي تحمل مشاق السفر ولا بناء المعامل وتجهيزها بآلات التشريح وغيرها لان الانسان قريب من نفسهِ ومن اكثر انواع الحيوان فاذا نظر في نفسهِ رأى فيها من الاسرار ما لا يسعهُ البيان ومن الوجدانات ما لا يحتمل البرهان لوضوحها ورسوخها ولا سيما اذا قابل نفسهُ بما يدنو اليهِ من الحيوان فيرى انهُ يتعالى عنهُ علوًّا عظيماً ويختلف اختلافاً جوهرياً ولا يرضى ان يقال لهُ قرد ولا كلب ولا نحلة ولا نملة على سبيل المجاز والتشبيه. ولا اتجاوز في ذلك الاوجه الثلاثة التي تحسب بالاتفاق دليلاً على العقل وهي اللغة والافعال العقلية والادبية

فاما اللغة فلا يخفى ان الانسان يستخدم الكلام ليعبر عما في نفسهِ من المعاني الكلية والجزئية فيختار الفاظاً مختلفة الاصوات ذات مقاطع كثيرة تختلف عن الاصوات البسيطة من حيث التركيب ومن حيث الدلالة على المعنى فان مفهوم اللفظ المفرد غير محصور في مفرد معين فلا علاقة لازمة بين لفظ الاسد مثلاً والحيوان المفترس الاوضع الانسان العاقل هذا الاسم

لهذا المسمى الشائع في جنسهِ شأن النكرات والافعال التي هي اكثر ابهاماً اذ تدل على معنى لا يستقلّ بنفسهِ وكذلك الحروف حيث ان كلِ الفاظ اللغة يدل على معانٍ مبهمة مشتركة كلية ولا تدل على معنى تام اي يصح السكوت عليهِ الا في حالة الاسناد فلا بد لذلك من قوة عقلية تتصرف بالمعاني الكلية وهذا حكم عام في كل لغة مهما كانت بسيطة التركيب قليلة المعاني فان الانسان الناطق بها يتصرف في الفاظها للدلالة على المعاني التي في نفسهِ ويقصد بيانها بذلك ويكون كلامهُ دليلاً على تعقلهِ بحيث يُعرَف مقدار علمهِ وسعة مداركهِ من معاني كلامهِ واذا ضاق معهُ مجال الكلام استخدم الرسوم والاشارات وغيرها مما يدل على انهُ ناطق جوهرياً وان صمت

اما البهيمة فليس بها من اللغة الا الاصوات وهي لا تعلق عليها معنى ولا تريد بها امراً معلوماً فلو كانت هذه الاصوات ذات معانٍ معقولة باصول ثابتة لادركها الانسان وتعلمها نظير ما يتعلم باقي اللغات وبالتالي لوكان في البهيمة عقل لابدتهُ صريحاً بكلامها وما احتاجت الى الانسان ليعلمها بعض الفاظ لا تزيد عليها ولا تدرك معانيها ولذلك لا تتصرف في الفاظها ولا في معانيها ولا تخرج عن كونها اصواتاً طبيعية صدرت عن سبب خارج اثر في الحواس اثراً حسياً طبيعياً فتكون من ثم دلالتها على هذه الاسباب دلالة طبيعية كدلالة صوت الساعة على عدد الساعات ودلالة الدخان على النار فلا يعلّق عليها معنى مقصود ولا يراد بها بيان شيء معلوم وقد يأتيها الانسان ولا يعلق عليها معنى كاصوات البكآء والضحك وغيرها ولذلك لا يقدر ان يتصرف فيها ولا يكتمها لانهُ مدفوع اليها بالطبع ويلزم من ذلك

ان لغة البهيمة صادقة ابداً اذ ليس بوسعها ان تكتم ما اثر فيها او ان تتصرف فيهِ وهي لا تزيد بالدلالة عن المحسوسات ولا تختلف الا نغماً بين حسن وقبيح كصوت البلبل والغراب ولا يختلف عوآء الكلب عن صوت الفرِح والمحزون بل ان تسميتها بالعجماوات دليل واضح على ذلك

والنتيجة ان كلام الانسان من حيث تركيبهُ من مقاطع مختلفة ودلالتهُ على معانٍ مشتركة كلية وجزئية دليل قاطع على ان فيهِ قوة عقلية متصرفة لا حظ فيها للبهيمة اذ ليس لها شيء من لغتهِ وكلامه لا لفظاً ولا معنى لان الاصوات لا تدل على وجود العقل في صاحبها كما لا تدل دقة الساعة على وجود العقل فيها ولا يجوز ان نسلم بوجود العقل فيها قبل ان تأتي بلفظ او معنى غير معانيها الحيوانية الدنية

واما الافعال العقلية فلا شك ان التمدن الحالي بما فيهِ من تقدم الاختراعات والاكتشافات واتساع المعارف وتعدد العلوم اعظم دليل على عقل الانسان لكونهِ ذا قوةٍ مفكرة يدرك الكليات ويتصرف فيها لانهُ اذا تأثرت حواسهُ استدل بديهياً ان هناك سبباً اثر فيها هذا الاثر اي ينتقل الذهن من اثر الحواس الى المؤثر فيها ولا يزال ينتقل ذهنهُ ويجول خاطرهُ حتى يصل الى المطلوب الذي يقصدهُ في نفسهِ ويبحث عنهُ بطريق القياس او بطريق الاستدلال مما هو مقرر عندهُ من الاحكام الاولية الكلية لان الكليات تشمل كثيراً من الذوات والاعيان . فاذا ادرك العقل اذاً معنى كلياً انتقل حالاً الى ملازمهِ الذي يتبادر الذهن اليهِ لنسبة او علاقة قريبة بينهما . والغاية ان الفكر لا يمكن ان يُحصَر في دائرة جزئية ولم يصل الى

هذا التمدن الحالي الا باعمال عقلهِ في مقاصدهِ بان اختار مادة تناسبهُ وآلةً تساعدهُ وهو يصيب ويخطئ شأن الصانع الذي لا يزال يعالج عملهُ حتى يكون تاماً على مرادهِ كالصورة التي في نفسهِ ولا يزال سالكاً في سبل من تقدمهُ منذ الوف اعوام مجدًّا الى كل جهة من المعارف لا يقف في سبيلهِ مانع مع انهُ يولد ضعيفاً جاهلاً لكل شيء فلا يلبث ان يدرك حالاً الوجدانيات والاوليات والمشاهدات وما ورآءها من المعقولات ويمثل لنفسهِ اعمال من سبقهُ فيجري على اثرهِ عن معرفة وبصيرة ويتدارك ما يأتي بهِ الزمان ويتسلط على الخلق ويتصرف فيهِ حتى يقود القطيع الكبير وهو ولدٌ صغير وقد قام وحدهُ بامر العلوم العقلية والصنائع اليدوية على اختلافها حتى تعلم ما لم يعلم وعلم الحيوان ما لا يعلم وليس لهُ من القوة الا عقلهُ وبهِ تغلب على الحديد فألانهُ وعلى الاسد فصادهُ وعلى الطير فطالهُ وساد الخلق كلهُ بعقلهِ

(ستأتي البقية)

طوابع البريد

كان اول ظهور طوابع البريد في فرنسا سنة ١٦٥٣ فلبثت تُستعمل مدةً ثم أُهملت في زمنٍ مجهول فلم يتنبه لها احدٌ الى سنة ١٨٢٣ وفي تلك السنة عرض المسيو تريغنبرج من مبعوثي اسوج على حكومة استكهلم اعادتها فلم يفلح واستمرّ الامر كذلك الى ان جددها الانكليز سنة ١٨٣٩ فاجروها في الاستعمال ثم تبعتهم فيها حكومة البلجيك سنة ١٨٤٧ الا ان استعمالها لم يشع في هذه البلاد الا منذ اول يوليو سنة ١٨٤٩ وجرت

عليها فرنسا سنة ١٨٤٨ واصطُلح عليها في اسبانيا وباڤاريا ودوكية باد وهنوفر وبروسيا وسويسرا والنمسا سنة ١٨٥٠ وفي ورتمبرج والدنمرك وغالب الايالات الطليانية سنة ١٨٥١ وفي البلاد السفلى او بلاد القاع سنة ١٨٥٢ ولم تدخل في استعمال اسوج الا سنة ١٨٥٥ ودخلت روسيا سنة ١٨٥٨ واليونان سنة ١٨٦١ واستمرّ انتشارها شيئاً فشيئاً حتى عمّت جميع اوربا واعمالها في آسيا وافريقيا واميركا وجزر المحيط

وقد أُولع الناس منذ حين بجمع اصناف الطوابع يتنافسون بها ولا سيما النادر منها مما انقطع استعمالهُ بحيث ان المجموع الكامل منها يباع بثمن فاحش . وقد نشرت احدى الجرائد الانكليزية فصلاً مفيداً في هذا المعنى للمشتغلين بهذا الشأن لا بأس من تعريبهِ فكاهةً لقومٍ وفائدةً لآخرين قالت

ان عدد اصناف الطوابع في ممالك الارض كلها تبلغ بالتدقيق ١٣,٨١١ صنفاً منها لانكلترا ١٣١ صنفاً ولأعمالها والبلاد التي تحت رايتها ٣,٨٤٣ وبعبارةٍ اخرى فكل خمسة طوابع يكون اثنان منها عليهما رسم الملكة فكتوريا

واكثر اصناف الطوابع المختلفة توجد في اميركا فانهُ يُعَدّ هناك لا اقلّ من ٤,٦٥٦ صنفاً منها للولايات المتحدة ٢٨٧ ولاسبانيا ٢٧٨ وللجمهورية سلڤادور ٢٧٢ وللجمهورية اوروغاي او الجمهورية الشرقية ٢١٥ ولمدينة شنغاي وحدها ٢١٤ صنفاً وليس من مملكةٍ لها صنفٌ واحد من الطوابع الا بولونيا والجزر المعروفة بأرض النار بالطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية

وجميع اصناف الطوابع التي صنعتها الحكومات المختلفة منذ ٥٠ سنة

لا تكاد تملأ فسحة سبعة امتار مربعة ومجموعةٌ كاملة من كل هذه الاصناف تكون قيمتها عشرة ملايين فرنك في الاقل

وفي هذه الطوابع اربعة هي اندرها واثمنها وهي ذو البنسين الازرق لجزيرة موريس فانهُ يسوى ٢٥,٠٠٠ فرنك ثم ذو العشرة سنتات لبلتيمور ويسوى ٢٢,٠٠٠ فرنك ثم ذو السنتين لهاواي ويسوى ١٧,٥٠٠ فرنك ثم ذو العشرين سنتاً لسان لويس ويسوى ١٥,٠٠٠ فرنك

التوازُن بين جرمي البرّ والبحر

نشر المسيو زِغلر فصلاً لطيفاً في مجلة الجمعية الفلكية الفرنسوية أثبت فيهِ التوازن بين جرمي البرّ والبحر قال

من المعلوم انا اذا عملنا كرةً من طينٍ لازب وأدرناها على محورٍ يمرُّ في مركزها تتفلطح من قطبيها أي من جهة طرفي المحور ويكون قطرها الاستوآئي أطول قليلاً من قطرها القطبي وما دامت سرعة دورانها واحدة فشكلها لا يتغير وتبقى القوَّتان الجاذبة الى المركز والدافعة عنهُ متوازنتين

ثم اذا غمسنا في سطح هذه الكرة قِطَعاً من جسم أثقل من الطين الذي صنعناها منهُ ككُتَلٍ من الحديد مثلاً وغطيناها بالطين نفسهِ ثم أُدرناها بالقوَّة نفسها فانها فضلاً عما ذُكر من تفلطحها يصير سطحها متعادياً أي يحدث فيهِ ارتفاعٌ وانخفاض لان الاجزآء التي يزيد ثقلها يكون تباعدها عن المركز أشدّ وما دامت سرعة الدوران واحدة يبقى الشكل الذي

اتخذته واحداً ويحصل التوازن بين الاجزآء الثقيلة والاجزآء الخفيفة

اذا تقرّر هذا يمكن ان تُعتبر الارض على هذا القياس فانها مركبة من نواةٍ متوازنة الاجزآء يحيط بها غلافٌ من البحار واليبس فلنا حينئذٍ ان نفرض ان بين البحر واليبس توازناً في الحركة والقوّة على حد ما ذُكر في الكرة التي وصفناها من التوازن بين الاجزآء الثقيلة والخفيفة . ولتطبيق ذلك نقول

اذا كان سطح البحر ٣٧٥ مليون كيلومتر مربع . وسطح اليبس ١٣٥ مليوناً . ومعدَّل عمق البحر ٣٣٠٠ متر . ومعدَّل ارتفاع اليبس ٤٠٠ متر . وارتفاع اليبس عن معدَّل عمق البحر ٣٧٤٠ متراً . والثقل النوعي لماء البحر ١،٠٢ ولليبس ٢،٥٠ وضربنا مسطح البحر الذي هو ٣٧٥ في معدَّل عمقهِ الذي هو ٣٣٠٠ وثقله النوعي الذي هو ١،٠٢ كان لنا وزن ماء البحر هكذا

٣٧٥ × ٣٣٠٠ × ١،٠٢ = ١,٢٦٢,٢٥٠

ثم اذا ضربنا مسطح اليبس الذي هو ١٣٥ في معدَّل ارتفاعهِ عن معدَّل عمق البحر الذي هو ٣٧٤٠ وثقلهِ النوعي الذي هو ٢،٥٠ كان لنا وزن اليبس هكذا

١٣٥ × ٣٧٤٠ × ٢،٥٠ — ١,٢٦٢,٢٥٠

أي اذا كان البرّ والبحر على التقدير المذكور كان وزنهما واحداً وحصل التوازن بين الاجزاء السائلة والاجزآء الصلبة

أسآء رعياً فسقى[1]

ما زال حضرة الاب لويس شيخو يدافعنا عن تسديد اغلاطهِ في الكتب التي تولى ضبطها وتصحيحها ويحيلنا على انتقاد مجلتهِ وتآليفهِ الجديدة .. بدعوى ان تلك الكتب قد طبعها قديماً وانهُ قد اصبح اليوم غير ما كان عليهِ بالامس ... واجابةً لاقتراحهِ فقد تكلفنا مطالعة مقالةٍ لهُ نشرها تحت اسمهِ في الجزء الثاني والعشرين من المشرق الصادر في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) وهي آخر مقالةٍ كتبها واول مقالةٍ قرأناها من كلامهِ .. فوجدنا فيها ما نستأذنهُ في ايراد بعضهِ لنعلمهُ انهُ لم يكن فيما سلف دون ما هو عليهِ اليوم ولكنهُ كان من ذلك الحين بالغاً حد الكمال وما بعد الكمال من مزيد

فمن ذلك قولهُ في الصفحة الاولى « .. مراكب البرتغال التي فازت في ذلك العصر قصبة السباق » فعدَّى « فاز » بنفسهِ وانما يقال فاز بالشيء ولا يقال فازهُ . وفي الصفحة التالية وهي صفحة ١٠١٠ « كانت الدولة على البويرس في بعض الآنات » يريد بالآنات جمع الآن ولم يُسمَع لهذا اللفظ جمعٌ فضلاً عن ان يُجمَع بالالف والتآء وانما هو من الالفاظ التي تناولها عن لغة الجرائد .. على أنا رأيناه يقول في شرح مجاني الادب (صفحة ٣٩٩) ما نصهُ . « الآنآء هو جمع آن او أوان وهو الوقت المعيَّن .. » وهي بلةٌ

---

(١) مثل اصلهُ ان يسيء الراعي رعي الابل حتى اذا اراد ان يرجع بها الى اهلها كرهَ ان يظهر لهم سوء أثرهِ عليها فيسقيها المآء لتمتلىء منهُ اجوافها . يضرب للرجل لا يحكم الامر ثم يريد اصلاحهُ فيزيدهُ فساداً

اخرى في هذه الطينة فليتأمل العارف في هذا الخبط الغريب · وقال في صفحة ١٠١٢ « وطافوا الوديان » يريد بالوديان جمع الوادي وهو ما لم يُسمَع ايضاً وانما هو من لغة العامّة · وفي صفحة ١٠١٣ « ولكن هذه الحرب لم تحطّ عن اوزارها » وهو كلامٌ لا معنى لهُ والصواب حذف « عن » لان المقصود حط الاوزار نفسها لا حطّ شيء آخر عن الاوزار (راجع ضيآء السنة الاولى ص ٦٤٢) · وفي صفحة ١٠١٤ « يربي على الالف الف » وهو تركيبٌ فاسد والصواب اسقاط اداة التعريف او نصب الالف الثاني على التمييز · وفي صفحة ١٠١٦ « بلغ السن الشرعي » والصواب الشرعية لان السنّ مؤنثة · وفيها « يستملك الارض » ولم تُسمَع صيغة استفعل من هـذا الحرف فالصواب يملك او يتملك · وفي صفحة ١٠١٧ « يجمعون هذا الطائر عدداً كبيراً ·· ولا يصرفون عليها الا النزر القليل فاذا كبر نزعوا عنها ريشها ··· » فجعل الطائر اولاً مذكراً ثم انثهُ ثم ذكّرهُ ثم انثهُ ولعل هذا من طرق التفنن التي لا نعرفها · ثم قال « وفي سنة ١٨٨٠ كان عدد النعام الذين يعنون بتربيتهم ··· » فردّ على النعام ضمير الذكور العقلآء وهو فنٌّ آخر · وفي هذه الصفحة « وهاك اليوم قد قامت الحرب » يريد وها ان الحرب قد قامت فعبّر « بهاك » وهو اسم فعل بمعنى خذ · وفي صفحة ١٠١٨ « ضعف البويرس وفشولهم » وهي اول مرةٍ سمعنا فيها لفظ الفشول والصواب « وفَشَلهم » بفتحتين

وقد بقيت هناك اشيآء اخر يدركها البصير اضربنا عنها خوف الملل · على انا لم نتعمد تغليط حضرة الآب في هذا الموضع لو لم يدعُنا اليهِ ويحرّضنا

عليهِ كما انهُ لا يهمنا اعترف بغلطهِ ام كابر وانما لم نمتنع عن اجابة بعض السائلين من قرآئنا الادبآء عما يرون من اوهامهِ في الكتب التي طبعها حرصاً منا على اللغة ان تزداد فساداً لان اكثر مقتني تلك الكتب يعتقدون صحتها لمكان المؤلفين الذين أُخذت عنهم فيُستدرَجون الى الخطآء من حيث لا يشعرون والله الهادي

اسئلة واجوبتها

اسيوط ــ بينما كنت اطالع في كتاب علم الادب تأليف الاب لويس شيخو اذ عثرت في صفحة ٦٨ على العبارة الآتية نقلاً عن كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ونصها « ويخطئ البصر ايضاً في حركة القمر والسحاب ․․ وفي الاشيآء التي تتحرك على الاستدارة حتى يراها كالحلقة والطروق »․ فلم افهم مرادهُ « بالطروق » وقد بحثت فيما عندي من كتب اللغة فلم اجد لهذه اللفظة تفسيراً يوافق المقام ․ ثم عثرت في صفحة ٨٦ على الكلام الآتي ارويهِ لكم بالحرف « (فائدة) ربما كان توجيه الخطاب الى غير ناطق كقول المتنبي منتهراً سيف ابن حمدان

الا ايها السيف الذي لست مغمدًا ولا فيك مرتابٌ ولا منك عاصمُ
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلى وراجيك والاسلام انك سالمُ »

فوقفت اقلّب الطرف في معنى هذا الكلام وانا كلما اوسعتهُ تأملاً اوسعني حيرةً حتى كأني اقرأ حلماً وما انا من معبري الاحلام ․ فهل لكم ان تفيدوني ماذا اراد بالانتهار هنا وكيف يُنتهر السيف ثم اين الانتهار في

البيتين فاني لا ارى الا مدحاً وتهنئةً ومَن ابن حمدان هذا فاني لم افهم شيئاً من هذا الطلسم كلهِ . وقريبٌ من هذا ما رأيتهُ في صفحة ٩٣ حيث روى البيت الآتي لامرئ القيس

كأن الثريا عُلقت في نظامها　　بامر ابن نعمانٍ الى صُمّ صندلِ

فمن اراد امرؤ القيس بابن نعمان المذكور في هذا البيت وما معنى صُمّ الصندل ارجو ان تتكرموا بالافادة عن ذلك كلهِ ولكم الفضل　　(ب *)

الجواب — أما لفظة « الطروق » في عبارة ابن مسكويه فالظاهر ان صوابها « الطوق » كما يُستدلّ عليهِ بالقرينة . وأما بيتا المتنبي فهما من احدى قصائدهِ في مدح سيف الدولة عليّ بن حمدان العَدَويّ صاحب حلب فالخطاب فيهما للممدوح الملقب بسيف الدولة لا للسيف الذي هو من الحديد . وأما معنى الانتهار فلا ندري من أين جآء فلعلّ حضرة الاب اذا وقف على هذا الموضع افادنا شيئاً من علمهِ . وأما بيت امرئ القيس فهو مرويٌّ في معلقتهِ هكذا

كأن الثريّا عُلّقت في مصامها　　بأمراس كتّانٍ الى صُمّ جندلِ

مصامها بمعنى موقفها والجندل الحجارة . يصف طول الليل يقول كأن الثريا قد شُدّت بحبالٍ متينة الى صخور صلبة فهي واقفة في مكانها لا تبرح . وقد تصحف عليهِ قولهُ « بأمراس » فقرأهُ « بأمر ابن » والصورة بينهما متقاربة ثم كأنهُ لم يستقم لهُ ان يقول « ابن كتّان » فأبدل كتّان « بنعمان » وتصحف عليهِ جندل « بصندل » وهما متقاربان في صورة الخط ايضاً والله اعلم

آثار ادبيّة

تذكار الصبا ــ هو اسم ديوان المرحوم فقيد اللغة والادب المأسوف عليهِ الشيخ نجيب الحدّاد ظهر في هذه الايام مطبوعاً بنفقة واهتمام حضرة السيّدة الفاضلة الكسندرا افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس البهية وكان الناظم رحمهُ الله قد جعلهُ هديةً الى مقام فضلها وأدبها وبعد ان طبع صدراً منهُ عاجلهُ القدر المحتوم فأتمّت جمعهُ وترتيبهُ وأبرزتهُ في أبهى حلةٍ من الطبع مصدَّراً برسم الناظم ومختوماً بترجمة حياته . ولسنا نتصدى في هذا المقام لوصف هذا الديوان واطرآء ما اشتمل عليهِ من رقائق النظم ومبتكرات المعاني فحسبنا من ذلك ما عرفهُ الناس من انفاسهِ ولكنا نصرف عنان القلم الى القيام بشكر حضرة الفاضلة المشار اليها لسعيها في نشر حسنات هذا الفقيد العزيز وتخليد ذكرهِ أثابها الله عنهُ خيراً ولا برحت قدوةً في الفضل والاحسان ومثلاً في المكارم يشار اليها بالبنان بمنّهِ تعالى وجودهِ

تنبيه * وقع غلط في الجزء السابق لم ينتبه لاصلاحه وهو ما جآء في صفحة ١٧٨ سطر ١٧ حيث قيل « واذا لما بعدهُ » والصواب نقل « واذا » الى السطر التالي بعد لفظ السعادة . وفي صفحة ١٨٠ سطر ٢ حيث قيل « الحلقة كانت » والصواب « الحلقة التي كانت » . وفي صفحة ١٨٥ سطر ١٢ حيث جآء « سنان بن هرم » وصوابهُ « هرم بن سنان »

فكاهات

رواية

الشاهد الفجائي (١)

كان لاحد سراة الالمان في مدينة برلين ابنان يقال لاكبرهما فرانز وللاصغر هرمن وكان لفرانز من العمر خمس وعشرون سنة ولهرمن اربع عشرة . وكان والداهما قبل ان يولد لهما هرمن قد جعلا كل ميلهما الى فرانز الذي هو البكر فلم يمنعاهُ شيئاً من مطالبهِ ورأى فرانز انهُ حاكم مطلق التصرف في بيت ابيهِ فاتبع اهوآءهُ ولم يعبأ لهما بنهي ولا امر ولم يشأ والداهُ ان يزجراهُ عما هو فيهِ حرصاً على رضاهُ فلما ترعرع كان ولداً شريراً سيئ الطباع بذيء اللسان لا يخاف الله ولا يهاب انساناً وما بلغ العاشرة من عمرهِ حتى اسف والداهُ لما رأيا من حالهِ وندما على تهاونهما في تربيتهِ وتقويم طباعهِ . فلما وُلد لهما هرمن اجتهد الوالدان ان يحسنا تربيتهُ واكملا القول بالفعل فشب خاضعاً طائعاً اديباً تقياً فكان آية الرصانة والصلاح وحسن السيرة كما كان اخوهُ انموذج الشر والرذيلة والفساد . وما زال شرّ فرانز يزداد والاخلاق السيئة تتأصل فيهِ كلما تقدم في السن حتى اصبح ضربةً على والديهِ واجتهدا في تقويتهِ بكل ذريعة استطاعاها فلم يجدِ فانقلبت محبتهما لهُ الى مقت

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وصرفا ميلهما الى اخيهِ لما كان عليهِ من الوداعة والرقة والادب ورأى فرانز ميلهما عنهُ الى اخيـهِ هرمن فنفر من جميعهم واضمر لاخيهِ السوء وجعل يتوقع فرصةً للايقاع بهِ . وكان هرمن يذهب كل يوم الى محل تجارة والدهِ فيساعد الكتاب في اشغالهم ويلازمهم من الصباح الى المسآء اما فرانز فلم يكن يدخل المحل الاحين ينفد ما بيدهِ من النقود فيذهب في طلب غيرها . واتفق ان هرمن خرج يوماً للتـنزه فرأى اخاهُ فرانز في منتدى جالساً الى جانب فتاةٍ بديعة الخلق يحادثها ويلاطفها وكان قد دعاها لمرافقتهِ ونسي ان ليس في جيبهِ شيء من النقود فكان في ارتباك عظيم ولما رأى هرمن سُرّي عنهُ فدعاهُ باسماً وعرّفهُ بالفتاة واسمها اماليا ثم عرّفها باخيهِ هرمن وجلس الثلاثة معاً يتحادثون . ورأت اماليا البون الشاسع بين الاخوين فمال قلبها الى هرمن واظهرت لهُ الحب فلما رأى فرانز ذلك صرف اخاهُ بالتي هي احسن بعد ان اخذ منهُ مبلغاً من النقود وجعل بعد ذلك يتزلف الى اماليا بغية استمالتها والاقتران بها الا انها لم تكن لتزداد الا نفوراً منهُ لما كانت ترى من فظاظة طباعهِ ودناءة اطوارهِ واخيراً صرّحت لهُ انها قد شغفت بحب اخيهِ هرمن وانها ان تزوجت فلن يكون سواهُ بعلاً لها فكان ذلك مما زاد فرانز بغضةً لاخيهِ ونفاراً من سائر اهل البيت حتى لم يعد في امكان والدهِ ان يحتمل فظائعهُ فطردهُ من بيتهِ وحرمهُ من ارثهِ . وكانت هذه من اعظم الضربات على فرانز ولذلك صمم على الانتقام من اخيهِ هرمن وقد اعتقد انهُ هو سبب شقآئهِ ولما ضاقت في وجههِ المسالك عمد الى الحيلة الاخيرة فكتب الى اماليا رسالةً سرية يقول فيها

ايتها السيدة اماليا

قد قضى لي البخت ان اغادر هذه الديار الى الديار الاميركية وانا مسافر صباح غدٍ وسيخرج معي اخي هرمن يشيعني الى نيمن واحبُّ قبل براحي ان اراكما تحت بركة الاكليل ولما كان قد ادركني موعد سفر الباخرة ولم يبقَ في امكاني انتظار تمام ذلك هنا فقد اتفقت مع اخي ان يكون اكليلكما في نيمن وعليهِ فسأنتظركِ غداً صباحاً في محطة السكة الحديدية لنركب معاً الى الموعد المذكور فيُعقد لكما هناك وترجعان واسافر انا الى الوجهة التي قُسمت لي　فرانز

فلما وصل هذا الخطاب الى اماليا دفعها حب هرمن الى الانقياد بدون تبصّر فوافت فرانز وسافرا يقصدان نيمن . ولما بلغا الباخرة سأل فرانز احد النوتية عن اخيهِ هرمن فقال انهُ خرج لحاجةٍ وسيعود بعد قليل ولم تدرِ اماليا ان النوتي مستأجر لهذه الغاية فجعلت تنتظر الى ان خيم الظلام وبرد الهوآء فانزلها فرانز الى غرفتهِ واغلق الباب . ولم يمضِ الا قليل حتى سمعت اماليا زفير البخار وشعرت بتقلقل الباخرة فصاحت ما هذا يا فرانز واين هرمن . فقال ايتها الشقية الا تزالين تذكرينهُ اوَلم تدري انني اودُّ ان اراهُ مقتولاً قبل ان ينال قلامةً من ظفركِ فاعلمي انني طُردت من بيت ابي بسببهِ وحُرمت ارثي وأُجبرت على مفارقة وطني لاجلهِ كل هذه المصائب نزلت بي بسبب هذا الوغد الزنيم . نعم انني هاربٌ ولكنني سأصادفهُ يوماً واغمد هذا الخنجر في فؤادهِ

وكانت اماليا تسمعهُ مرتجفةً خائفة فقالت اذاً ألا ترجعني الى بيت

ابي ٠ قال هيهات فانا احبكِ ولست اسافر حتى تكوني معي فتعزيني في وحدتي٠ قالت ولكني لا احبك بل استعيذ بالله منك في كل دقيقة فكيف يمكنني ان اعزيك ٠ قال ان لم تعزيني بكلامكِ فبمالكِ فاني لا اكتمكِ ان والدي قد طردني من بيتهِ وجحدني وحرمني نصيبي من مالهِ فان لم تصحبيني في سفري فلا اقلّ من ان تساعديني بشيء من مال ابيكِ ٠ قالت كفى فقد علمت قصدك ايها الوحش الجهنمي فاطلب ما يلزمك من المال وخذهُ بطيبة نفس لكن تعدني انك تطلق سراحي اول في ميناء نصل اليهِ ٠قال اعدكِ بذلك لكني لا اعرف الآن المقدار اللازم لي من الدراهم فاذا وقَّعتِ لي على ورقةٍ بيضآء اكتب فيها ما احتاج اليهِ عند اللزوم تركتكِ وشأنك ٠ قالت هات الورق ٠ فاخرج فرانز من جيبهِ ورقةً بيضآء فقطعها اربعة اقسام وطلب منها ان توقع اسمها على الاربع القطع ففعلت كذلك وهي لا تدري ما تفعل ولما فرغت رمت بالقلم في وجههِ وقالت خذ ايها اللص الخبيث قد سلبت مالي ومال ابي سلبك الله الراحة والهنآء٠٠فجعل فرانز يقهقه ضاحكاً وهو يطوي الاوراق ويضعها في جيبهِ ٠ وكانت اماليا قد خارت قواها بعد ما جرى فالقت بنفسها على السرير وغاصت في بحر نوم ٍغير هنيء ٠ وصعد فرانز الى ظهر الباخرة وجلس يدخن ويفكر في ما عساهُ ان يصنع وهاجتهُ افكارٌ شتى الى ان نبههُ قرع جرس الباخرة للساعة الثالثة بعد نصف الليل فهب مذعوراً ونزل الى الغرفة حيث كانت اماليا منطرحة على السرير فحملها بين ذراعيهِ ورقي بها الى سطح الباخرة فافاقت وقبل ان تفتح فاها بكلام قال ايتها اللعينة انك لا تتزوجين بي فهل اسمح ان تكوني نصيباً لغيري ٠ كلا

بل كوني نصيباً لسمك البحر فلن ارضى لكِ غيره . ولما قال ذلك قذف بها من جانب الباخرة الى البحر وعاد الى الغرفة . ولما القت الباخرة مرساتها ارسل فرانز الرسالة الاولى الى والد اماليا بتوقيع ابنتهِ يقول فيها عن لسانها

يا والدي العزيز - اني قد هويت فرانز واقترنت بهِ وقد اضطرتهُ الاحوال ان يسافر فجاءةً فسافرت معهُ وسأعود اليك واطلعك على كل ما جرى فلا تعود تلوم ابنتك فيما فعلت ولا تحرمني رضاك وحنوك الابوي . والآن فانني في حاجةٍ شديدة الى النقود فارسل لي مما تركتهُ والدتي خمسين الف مرك ومتى بلغنا اميركا فسأكتب اليك ان ترسل لي الباقي الى هناك

ابنتك المطيعة اماليا

ولبث فرانز ينتظر يومين فوردهُ جواب الاب يصحبهُ حوالة بالمبلغ وفي الجواب تعنيفٌ شديد لابنتهِ على ما فعلت من الطيش والجهالة وانهُ قد صار يعتبرها غريبةً عنهُ ولا يهمهُ شيءٌ من امرها . اما فرانز فلم يهتمّ لشيء مما ذكر بل اكتفى بحصولهِ على الحوالة وما عتّم ان قبض المبلغ وعاد الى الباخرة متوجهاً الى الولايات المتحدة

وكثرت الاشاعات والتقوّلات بعد سفر فرانز فكان ذلك مما زاد في مضض والديهِ واسفهما ولما طالت المدة اخذا ينسيانهِ شيئاً فشيئاً ومرت على ذلك ثماني سنوات ولم يجرِ لفرانز ذكر ولا جاء عنهُ خبر فعُدَّ بين الاموات . اما هرمن فكان لا يزال جارياً على ما أُسّس عليهِ من محاسن الاخلاق والجدّ في طلب الرفعة في المنزلة والنجاح في الاعمال واصبحت لهُ ثروة خاصة وكان والداهُ يرغبان في زواجهِ وهو ينفر من ذلك لانهُ كان قد وهب قلبهُ

لاماليا ولما علم بهربها مع اخيهِ نذر على نفسهِ التبتُّل وآلى ان لا يميل الى سواها غير ان والدهُ كان لا يمرُّ يومٌ الا يجتهد في اقناعهِ بوجوب الاقتران واخيراً قال لهُ انني قد شخت يا هرمن وامست شمسي على شرف المغيب وليس في نفسي شيءٌ من امانيّ الدنيا لأن الله قد انعم عليَّ بما يقرُّ العين ويسر النفس وجعل لي مثلك وارثاً لاسمي ومالي فاذا متُّ فاني اموت سعيدًا لكن يا بنيَّ ينقصني امرٌ واحد اتزوَّدهُ معي الى قبري وهو ان ارى لك عروساً تشاطرك الحياة ويكون لي منك النسل الباقي

وكان هرمن يتذكر اماليا فيهيج وجدهُ اليها ويجزم بعدم الاقتران بغيرها ثم يسمع كلمات والدهِ المؤثرة فيلين قلبهُ فقال لهُ ولكن يا والدي لا ارى فتاة يميل اليها قلبي . قال والدهُ انا اجدها لك فان نورا بنت البارون هرس آية في الجمال والآداب ومحاسن الخصال وقد علمت من والديها انها تميل اليك عن بعد وتتغزل في محبتك وان تكن لا تزورها فدونكها يا ولدي ودعني اموت طيّب الخاطر مسرور الفؤاد . وما زال يلحُّ على هرمن حتى ازوجهُ منها وكان هرمن يرى انهُ كمن ضحى نفسهُ لمرضاة غيرهِ فمذ وُجد مع زوجتهِ لم يكن يُرى الا حزين النفس مشتت الافكار وكانت نورا تحبهُ محبةً دونها العبادة وتجتهد بكل قواها ان تستميلهُ اليها فكان ذلك يزيد كربهُ اذ يراها تموت في هواهُ ولا يرى من نفسهِ ميلاً اليها ولا يستطيع ان يقابلها بمثل حبها

وفي ذات يوم عاد هرمن الى بيتهِ فلاحظت نورا انهُ قلق البال مضطرب الافكار فسألتهُ عما عرض لهُ قال رأيت اليوم شخصاً رابني منظرهُ

وقد دخل اليَّ وكلمني في بعض شؤون التجارة وكان في حديثهِ شيءٌ من الاهانة كمن يضمر لي شرًّا ويتعمد التحرش بي لينتقم مني وهذه اول مرةٍ صادفني فيها مثل ذلك مع اجتهادي كل حياتي بعدم الاسآءة الى احد . فجعلت نورا تخفف من هيجان افكارهِ وتجتهد في تسكين خواطرهِ ثم خرجت بهِ الى الحديقة يتنسمان الهوآء البارد فجلسا تحت شجرة غضة وجعلت نورا تقص على زوجها اخباراً مختلفة لتسرّي عنهُ همومهُ . وانهما كذلك واذا بشخصٍ قد هبط من الشجرة الى الارض لم يكادا يميزانهِ حتى صاحت نورا صيحةً عظيمة والقت بنفسها على صدر زوجها واذ ذاك دوى في الحديقة طلق رصاصٍ ووقعت المسكينة تختبط بدمآئها . فصاح هرمن وتراكض الخدم على صوت الرصاص فنقلوا الجثة الى سريرها وذهب منهم من يستدعي الطبيب واقبل هرمن يتفقد زوجتهُ ليتحقق موضع الاصابة ففتحت عينيها وقالت بصوتٍ متقطع لا شك ان هذا هو الشخص الذي ذكرتهُ لي وقد رأيتهُ مصوباً مسدسهُ نحو صدرك فتلقيت الرصاص بقلبي مدافعةً عنك فعسى ان هذا الفعل يحبب اليك ذكراي فتحبني بعد مماتي ثم انقطع صوتها وفاضت روحها . ولما حضر الطبيب وجدها قد فارقت الحياة ثم دخل بعدهُ زعيم الشرطة وبعد ان فحص المسئلة وعلم انهُ لم يكن احدٌ في الحديقة الا هرمن وزوجتهُ التفت الى هرمن وقال انني باسم الامبراطور التي عليك القبض للتحقيق فهلمَّ معي الى القضآء . واصاب هرمن نوعٌ من الذهول فلم يدرك شيئاً سوى انهُ انحنى على جثة نورا فقبلها مودعاً بدون ان يفوه بكلمة ثم طأطأ رأسهُ وتبع الشرطة

وفي الصباح التالي تعينت لجنةٌ لتحقيق الجريمة فأُقيم هرمن امام القضاة وجعل المحامون يتحاورون في قضيتهِ ويلقون عليهِ الاسئلة ولما لم يسعهُ تبرئة نفسهِ واثبات ان القاتل غيرهُ مال الفاحصون الى تذنيبهِ واذ ذاك فُتح باب المحكمة ودخلت فتاةٌ قد سترت وجهها بلثام ثم تبعها اثنان من الشرط يقودان رجلاً قد غُلَّت يداهُ . فتقدمت الفتاة الى دكة القضآء ثم استقبلت الحضور وبعد ان استأذنت القاضي شرعت في الكلام فقالت

اذا كان من حقوق العدل ان يؤخذ المجرم بجريمتهِ فمن حقوق المروءة ان لا يُترك البريء يؤخذ بذنب المسيء واني لعلى يقين تام من ان هذا المتهم مظلوم فيما أُلصق بهِ من تهمة القتل مجنيٌّ عليهِ جناية مضاعفة بقتل امرأتهِ ثم احالة الجريمة عليهِ وتعريضهِ للاقتصاص منهُ وانما القاتل في الحقيقة هو هذا الظالم ـ وأشارت الى الرجل الموثق ـ وهو اخو المتهم المسمى فرانز المشهور بكثرة شرورهِ وقبح سيرتهِ . ثم أفاضت في سرد قصة فرانز وما كان من محبتهِ لاماليا وحيلتهِ عليها وسلبهِ مالها وطرحهِ اياها في البحر ثم اتمت القصة فقالت وسقطت تلك المسكينة بين أمواج اليمّ غائبةً عن رشدها ولم تعِ الا وهي بين ايدي رجلين من الصيادين التقطاها من البحر وجعلت بعد ذلك تسترزق اهل الاحسان حتى عادت الى بيت ابيها بعد سنة من تاريخ هربها فوجدت ان الشقي فرانز قد استنزف كل مالها وانهُ اثار عليها حنق والدها فطردها من بيتها وانكرها ولعنها ولما اصبحت في تلك الحالة عزمت ان تبحث في انحآء المعمور لتظفر بمغريها وسالبها فتنتقم منهُ جزاء ما أوصلها اليهِ من الشقآء وجعلت تسافر من بلدةٍ الى اخرى وكلما اعوزتها

النفقة احتالت على تحصيلها من تعب يديها حتى بلغت اميركا واهتدت الى المحل الذي كان يقيم فيه ولما سألت عنهُ وجدت انهُ قد عاد الى برلين فعادت على اعقابها في طلبه حتى رأتهُ هنا منذ يومين فجعلت تتتبعهُ وتراقب اعمالهُ وحركاته وتترصد منهُ فرصةً للانتقام وقد رأتهُ امس في قلقٍ عظيم فأوجست شراً في افكاره حتى اذا أمسى وهي تتبعهُ عن بعدٍ رأتهُ قد تسلّق جدار حديقة هرمن فتربصت لهُ حيث تراهُ ولا يراها ولما نزل هرمن وزوجتهُ الى الحديقة اسرع هذا اللعين فرانز فصوّب مسدسهُ الى صدر اخيه ورأت الزوجة ما يتهدد زوجها فارتمت على صدره لتحميهُ وكانت تلك الدقيقة آخر حياتها . وظن فرانز انهُ قد أدرك غرضهُ من قتل اخيه فعمد الى الفرار ولما رأت اماليا ما كان تحققت انهُ هو هو فتبعتهُ ولم تزل تجدّ في أثره حتى دخل حانةً فاستدعت رجال الشرط وسلمتهم اياهُ وقادتهُ الى هنا وهاءنذا اماليا التي تكلمكم وأماطت لثامها عن وجهها فعرفها الجميع

اما هرمن فكان يفضل الموت على سماع هذه الامور عن أخيه فطأطأ رأسهُ حزيناً وعادت المحكمة الى فحص القضية فبرّأت ساحة هرمن فعاد الى بيته ليندب المسكينة نورا وأما فرانز فحكم عليه بالاشغال الشاقة وأرسل الى السجن الذي لا يعود منهُ . ثم أخذت اماليا في التردد على هرمن تسليه وتعزّيه ورأى من محبتها لهُ وتركها بدون نصير ما عطف قلبهُ عليها فعاودهُ الحب الاوّل واقترن بها ورأى من عظم مودتها وحسن معاملتها ما أنساهُ احزانهُ فقضيا بقية ايامهما بسلام الى ان فرّق بينهما داعي الحِمام